عنوان التظاهرة: التصوف قراءة في فكر الآخر.

ملتقى دولي من تنظيم جامعة بو بكر بلقايد –تلمسان– الجزائر

عنوان المداخلة: إشكالية خصوصية التصوف الإسلامي في الانفتاح على الآخر _دراسة في المضمون والمآلات

The issue of the idiosyncrasy and relevence of islamic Sufism in Openness to the other

من اعداد: نورة رجاتي.

Benchanora@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _قسنطينة_ الجزائر

وسيلة أمزيان

جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة. كلية العلوم الإسلامية. قسم: العقائد والأديان

. amezianewassila25@gmil.com

2023-03-16

الملخص:

تدور هذه المداخلة المعنونة ب: إشكالية خصوصية التصوف الإسلامي في الانفتاح على الآخر _دراسة في المضمون والمالات_ حول رصد مختلف الآراء الاستشراقية التي ترمي لجعل التصوف أحد أركان وحدة الأديان، وتقديم التجربة الروحية في الإسلام على أنّها مزيج من مؤثرات أجنبية اجتمعت في فترة معينة ليظهر ما يعرف بالتصوف، وطبعا هذه المقاربة لها عواقب وخيمة على التعايش الإنساني، ذلك أنّ مثل هذه الطروحات تعمل على تجاهل المفارقات العقدية والتشريعية بين مختلف الأديان، وتدعو إلى دين واحد جامع انطلاقا من

تجربة إشراقية وروحية واحدة لها نفس الغايات الروحية، وهذا طبعا مرفوض رفضا قاطعا لأنّه يطعن مباشرة في خصوصية التجربة الصوفية الإسلامية القائمة على مبدأ التوحيد.

Summary:

This intervention is entitled: The problem of the specificity of Islamic mysticism in the opening to the other _ a study in content and money_ On the follow-up of the various orientalist conceptions which aim to make Sufism one of the pillars of the unity of religions, To present the spiritual experience in Islam as a mixture of foreign influences that came together at a certain period to reveal what is called Sufism. Of course, this approach has disastrous consequences for human coexistence, since such proposals tend to ignore the doctrinal and legislative differences between different religions. It calls for a single, inclusive religion based on a single enlightening, spiritual experience that has the same spiritual goals. This, of course, is categorically rejected, as it directly challenges the specificity of the Sufi Islamic experience based on the principle of monotheism.

المقدمة:

تعتبر التجربة الصوفية أهم ما وصل إليه العقل الباطن للإنسان كونها تجربة تلبي حاجة ما في الإنسان، تعود به إلى داخله ووجدانه وتدفعه إلى رقيه النفسي الذي لا يتأتى له الا بتزكية النفس

والتصوف الإسلامي هو واحد من اهم هذه التجارب الإشراقية التي عرفتها البشرية وهو نتاج تدبر عميق في القرآن الكريم وتوغل أعمق في توحيد الخالق عز وجل، ومنتجات هذا الخطاب الصوفي الإسلامي لم تحد عن القرآن الكريم، بل جعلته مركزي في مختلف أدبياتها. هذا جهة ومن جهة أخرى تعتبر إشكالية علاقة التصوف الإسلامي بالديانات والثقافات الاشراقية الأخرى من الأطروحات المعاصرة، التي أصبحت تلقى رواجا كبيرا في الأوساط الأكاديمية بين دارس ي التصوف والمختصين في تاريخ ومقارنة الأديان، حيث تعالج كل جهة الموضوع وفق سياقات مختلفة، وذلك تزامنا مع طرح فكرة التصوف كواحدة من الحلول لإشكالات الإنسان المعاصر.

وقد نظر هؤلاء وراهنوا على التزكية والتهذيب الخلقي كمشترك إنساني تتلاشى فيه كل الفروقات العقدية والثقافية. ويمكننا القول أن هذا الطرح _التصوف الواحد بين الديانات_ علا صوته من خارج الديار الإسلامية، تحديدا من الباحثين الغربيين في القرن التاسع عشر ميلادي وبدايات القرن العشرين، أين طرحوا قضية العوامل والمؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي، للوصول إلى مقاربة تخدم وحدة الأديان مفادها أن التجربة الروحية في الإسلام تتلاقى وتتقاطع في عديد المراحل والأهداف مع الثقافات الاشراقية عند الأمم الأخرى.

الاشكالية:

من جملة هذه الأفكار نكتسب مشروعية طرح الإشكالية الآتية: إلى أي مدى يمكن للتصوف الإسلامي بخصوصيته العقدية والتعبدية أن ينفتح على الطروحات الصوفية والروحية للآخر؟ وماهي مآلات هكذا تنظيرات على التعايش الإنساني المشترك وعلى المسلمين على وجه الخصوص؟.

أهداف الدراسة:

- ✓ التعرف على الأبعاد الابستمولوجية للتصوف عند الآخر.
- ✓ تحديد المعايير الوضعية للانفتاح على الآخر والتعايش الآمن معه.
- ✓ إظهار خصوصية النموذج المعرفي للتصوف الإسلامي في بعده العقدي ومركزية التوحيد فيه.

منهج الدراسة:

استخدمنا المنهج الاستقرائي في تتبع آراء المستشرقين ومن حذا حذوهم من الحداثين فيما يتعلق بالتصوف ووحدة الأديان. كما اعتمدنا المنهج التحليلي في تحليل هذه الآراء وتبيان مآلاتها و مغالطاتها.

محاور المداخلة:

- المبحث الأول: التصوف والتصوف الإسلامي في فكر الآخر.

- المبحث الثاني: ما يترتب عن تصور الآخر للتصوف.

المبحث الثالث: خصوصية التصوف الإسلامي ودوره في الأمن الإنساني.

العرض:

1. تعريف المصطلحات: التصوف. الآخر. الخصوصية:

التصوف:

التصوف: لغة

لم يُجمع الباحثون على تعريف معين للفظة التصوف، بل ذهبوا في ذلك إلى مذاهب عديدة:

- جاء في لسان العرب أن:" صوفة أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر،كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم، وصوفة حي من تميم وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى فيكون أول من يدفع. يقال في الحج : أجيزي صوفة، فإذا أجازت ، قيل : أجيزي خندف. فإذا أجازت أذن للناس كلهم فيالإجازة وهي الإفاضة."[1]

- وذهب القشيري إلى أ ن التصوف كالقلب، فأ ما من قال إ نه من الصوف، ولهذا يُقال : تصوف إذا لبس الصوف كما يُقال: تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولك ن القوم لم يختصوا بلبس الصوف".[2] إذ أ ن فئة من الصوفية ذهبوا إلى ضرورة تعذيب النفس الإنسانية ، ولبس الصوف هو نوع من هذا التعذيب.

---

[1]لسان العرب، ابن منظو ر، ج7، ص479. وقد ورد هذا الرأي أيضا في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، د.أ، ص18.

[2]القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية،ط1، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د.أ.، ص312.

- وقيل التصوف: مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم.[3] وذلك بعملهم واجتهادهم على تزكية النفس الإنسانية ورفعها إلى أعلى مراتب الأخلاق.

- فيما ذهب آخرون إلى أ ن التصوف يرجع إلى الصُفة التي كانت في مسجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" لأن أصحابها اتصفوا بكل الصفات التي يمكن أن تكون سببا لهذه النسبة كالصفاء الذي هو صفاء أسرارهم ونقاء آثارها، أو كأ نهم في الصف الأول بين يدي الله بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه.[4]

- ورأي آخر نسب التصوف إلى صوفانة وهي بقلة تنبت في الصحراء، حيث دفع التقشف بعض الصوفية إلى الزهد في الطعام والاقتصار على نبات الصحراء.[5] وهذا الرأي مستبعد نوعا ما في أوساط الدارسين للتصوف الإسلامي.

اصطلاحا:

يكاد يتفق الباحثون في الدراسات الإسلامية أنه ما من مفهوم إسلامية أشد تعقيدا وأكثر جدلا من مفهوم التصوف، فوقف الباحثون إزائه مواقف متضاربة كثيرا بين رافض له رفضا مطلقا وبين مقتنع بأ نه روح الحياة الروحية في الإسلام وجوهره وبين من اعتبره مجرد نظريات فلسفية لا تداعيات لها في الواقع، من هنا كانت تعاريف هذا المصطلح كثيرة ومتباعدة عن بعضها البعض، وبما أ ن حدود البحث لا تسمح بالتفصيل في هذا كثيرا اخترنا الإشارة إلى بعض هذه التعاريف على سبيل التمثيل لا الحصر:

---

[3]الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف ،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة_مصر،1994م ،د.أ، ص22.

[4]المصدر نفسه، ص22.

[5]أبو العلا العفيفي ،التصوف. الثورة الروحية في الإسلام، د.ط، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت،د.ت ، د.أ ،ص29.

• عرف ابن خلدون التصوف بقوله:" هو العكوف على العبادة و الانقطاع لله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلو للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"[6].

• وذهب محي الدين ابن عربي إلى أ ن التصوف: "هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي الخلق الإلهية وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها"[7]

• وعرفه ابن عجيبة فقال:" التصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحق أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة"[8]

• **التصوف في تعريفات المستشرقين:**

✓ ثيودور نولدكه: " التصوف: الكلمة مشتقة من الصوف، وكانت في الأصل موضوعا للزهاد المسلمين الذين تش بهوا برهبان النصارى في ارتدائهم غليظ الصوف، وقد استعمل هذا اللفظ المطاوع منذ القرن الثامن ميلادي للتورية مع كلمة صوفي، بمعنى المتن سك لابس الصوف، والكلمة يونانية بمعنى "سوفس" التي حاولوا فيها المعادلة بين "ثيوسوفيا" و "تصوف" "[910].

✓ جان شوفليي: " الأرجح من كل الاشتقاقات ربط الكلمة بلبس رداء الصوف وهو علامة على إرادة الانقطاع الباطني وهناك اشتقاق آخر وإن كان بعيدا من حيث الاشتقاق اللغوي، يربط لفظ الصوفية بالصفاء فعندما ينقطع الصوفي عن الدنيا ويعود إلى باطنه فإ نه يتطهر من الخفي من شهواته وتقوم حياته الروحية على أن يطهر جميع حركاته وسكناته وأفعاله حتى

---

[6]عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: أ. م. كاترمير، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت ،1992م،ج1.ص517.

[7]رسائل ابن عربي _اصطلاح الصوفية_، محي الدين بن عربي،د.ط، دار الإمام مسلم للنشر ،1990م، د.أ، ص17.

[8]أحمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء ، د.أ.ص5.

[9]، ج5، ص265.

[10]مجموعة مستشرقين، دائرة المعارف، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة _مصر،

ينتهي إلى صفاء نية القلب مصدر إلزامه الخلقي، وبهذا فهناك ثلاث خصائص رئيسية يثيرها لفظ الصوفية هي: الانقطاع والتطهر والحكمة"[11].

- **الآخر: لغة**

ذكر ابن منظور ما يلي: " الآخر بفتح الخاء أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، والأنثى أخرى إ لا أ ن فيه معنى الصفة، والآخر بمعنى غير كقوله رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر"[12] **اصطلاحا:**

مصطلح الآخر هو مصطلح وافد من الغرب دخيل على المفاهيم الإسلامية، ذلك أ نه ظهر بظهور فكرة المركزية الأوروبية والاستعلاء الأوروبي على ك ل ما سواه، ومن بين تعريفاته مايلي: " عبارة عن مركب من الصفات البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، ينسبها فرد إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر أيضا، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع أنا أخرى، تكون الأخيرة هي الآخر"[13]

- الخصوصية:

لغة:

الخاص هو المنفرد يقال: فلان خاص لفلان، أي منفرد به، واخت ص فلان بكذا أي انفرد به. والتخصيص: تمييز أفراد البعض من الجملة بحكم بعض ما اختص به.
والخصوصية: بالفتح أفصح، وحينئذ تكون صفة، وإلحاق الياء المصدرية يكون المعنى على

---

[11]جان شوفليي، التصوف والمتصوفة، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط، دار إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م، ص8_9.

[12]ابن منظور، لسان العرب، ، ج1، ص38.

[13]عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر: الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ط1، دار العلوم، القاهرة_مصر،2005م، د.أ، ص17.

المصدرية والتاء للمبالغة، وإذا ضم يحتاج إلى أن يجعل المصدر بمعنى الصفة، أو الياء للنسبة[14].

التعريف الإجرائي للخصوصية الصوفية : ما انفرد به التصوف الإسلامي وتميز بهدون غيره من التجارب الروحية بميزات معينة اكتسبت أهميتها من أصل التوحيد، وله فضل على سائر التجارب الروحية الأخرى.

2. مآلات تصور الآخر للتصوف:

من أهم الإشكالات والمقاربات المطروحة خاصة في الفكر الغربي المعاصر والفكر الحداثي العربي المتأثر به : هل التصوف هو أحد الأركان التي بإمكانها توحيد الديانات الثلاثة _المسيحية، اليهودية، الإسلام_، والوحدة في الأديان مصطلح حادث يقصد به: التسوية بين جميع الأديان من حيث الصحة والقبول.[15]

يعرض المستشرقون هذا الطرح بكثرة من منطلق أ ن التصوف الإسلامي يتقاطع في كثير من المسائل والمبادئ مع التصوف في ثقافات اشراقية أخر ى، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر يقول المستشرق رينولد نيكلسون : " إن التصوف هو البقعة المشتركة التي تلتقي فيها نصرانية القرون الوسطى بالدين الإسلامي وتقتربان كثيرا"[16]، ونرى بأن الأولى به هو عرض هذه النقاط التي يراها مشتركة بين التصوف الإسلامي والنصرانية الرهبانية لتحليها وتشريحها وإثبات كونها نقاطا واحدا أو أ ن مجرد الشبه الروحاني هو الذي يربط بينها، ففرق بين الاجتماع والاتفاق وبين التشابه، وهذه هي أزمة المستشرقين دائما: إطلاق أحكام عامة دون التفصيل والتحليل وهو ما يبتعد كثيرا عن البحث الأكاديمي الرصين.

---

[14]أيوب بن موس ى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش
_محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت_لبنان، ج1، ص422_423.

[15]لطف الله خوجة، وحدة الأديان في تأصيلات التصوف وتقريرات المتصوفة، ط1، مكتبة الملك فهد ، الرياض _السعودية ،2011م، د.أ، ص100.

[16]رينولد ألين نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نور الدين شربيه، ط2، د.دار نشر، القاهرة_مصر ،2002م ،ص19_20.

كما يذهب في السياق ذاته المستشرق روجي أرنلديز إلى القول: "فالقلب إذا هو المحور الذي تتجه نحوه الرسائل الثلاثة _اليهودية، المسيحية، الإسلام_ مهما كانت تعارضاتها العقائدية...لكن يتفق لكل منهم _اليهودي، المسيحي والمسلم_ وهو يعيش قيمه الخاصة

أن يتمكن من الانفتاح على قيم الاثنين الآخرين فينبثق تشارك أكيد ويتألق على مستوى الاختبار الديني اختبار يكون القلب وحده قادرا عليه"[17]، ولا ندري هنا ماذا يقصد بالانفتاح أهل هو احترام قيم الآخر؟ فإن كان هذا مقصده فهو واجب وضرورة، أ ما إن كان القصد بالمشاركة والانفتاح هو المزج بين قيم مختلفة من الديانات الثلاثة للخروج بدين واحد جامع فهذا طبعا مرفوض.

كذلك نلاحظ أ نه يعترف بالتعارضات العقائدية بين الديانات الثلاثة ونعلم أ ن العقيدة هي أساس التشريع فكيف له أ ن يطلب الجمع بين شرائع وعقائد مختلفة لمجرد اشتراك الإنسانية في القلب.

واضح أ ن آراء المستشرقين مجمعة على أ ن التصوف هو من أهم طرقهم إلى وحدة الأديان، وعلى خطاهم يعتبر المستشرق أثين بلاثيوس أ ن: " لابن عربي في وحدة الأديان مذهب لا يختلف كثيرا عن مذهب الحلاج... لك ن محي الدين بن عربي لم يقصد كل الأديان، إذ يتجلى بوضوح أ ن الأديان التي يعتبرها كلها وسائط لحب الذات الإلهية هي أديان أهل الكتاب وهي: اليهودية والمسيحية بالإضافة إلى الإسلام، ذلك أ ن هذه الأديان الثلاثة في نظر ابن عربي خلاصتها دين واحد تطور عبر العصور إلى أن استق ر في الإسلام ،ولهذا فإ ن المسيحي أو اليهودي الذي يعتنق الإسلام لا يغير من دينه"[18]، و استنادا إلى ما جاء في القرآن الكريم أ ن الدين عند الله هو الإسلام وهو رسالة جميع الأنبياء والمرسلين ذكر الآيات

---

[17] روجيه أرنلديز، رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة: وديع مبارك، د.ط، منشورات عويدات، بيروت_باريس، 1988م، د.أ ،ص61_62.

[18] أثين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، د.ط، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت ،1979م، ص267.

الدالة على ذلك كقوله تعالى: "هو سماكم المسلمين من قبل"... [19] و قوله عز وجل: " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"[20]

وقوله تعالى: " ورضيت لكم الإسلام دينا" وقوله أيضا: " إ ن الدين عند الله الإسلام"[21]

وهو الدين الذي يدعو إلى توحيد الله وحده وافراده بالعبودية والطاعة، وهو ما يتعارض مع دين يتبنى التثليث عقيدة وآخر يتبنى التجسيم.

ومع المستشرقين دائما نموذج آخر لمستشرق يدعو إلى تصوف واحد وإلى وحدة الأديان: وليم جيمس الذي يقو ل: " إ ن التغلب على جميع الحواجز بين الفرد والمطلق هو الإنجاز الصوفي العظيم ونحن نصبح في المقامات الصوفية واحد مع المطلق ونكون على وعي بهذه الواحدية، هذا هو التراث الدائم والظاهر الذي يصعب أن تغيره اختلافات الظروف والعقائد، فنحن نجد في الهندوسية وفي الأفلاطونية الجديدة، وفي التصوف الإسلامي وفي التصوف المسيحي نفس الملاحظة التي تتكرر باستمرار حتى أنه ليولد بالنسبة للأقوال الصوفية إجماع أزلي يجبرنا على الوقفة النقدية والتفكير، وذلك ما اعتبر إجماعا على تشابه التجارب الصوفية"[22]، أي يعتبر أ ن مفاهيم وحدة الأديان والفيض هي مفاهيم مشتركة بين الصوفية الإنسانية بلا اعتبار لاختلاف الأديان.

كذلك ظهر من بين المفكرين المسلمين من تأثر بالفكر الغربي وسوق لهذه الأفكار في العا لم الإسلامي ، ومن بين هؤلاء محمد آركون الذي يصرح بأ نه : " ينبغي أن نلاحظ أولا أ ن التجربة الصوفية موجودة في ك ل الأديان وليست بالتالي حكرا على **الإسلام** وحده ،وقد تح

---

[19] القرآن الكريم، سورة الحج، الآية: 78.

[20] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 75.

[21] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 19.

[22] شارفي عبد القادر، خصوصية التجربة الصوفية والقراءة التأويلية للنص الديني، مجلة: الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد1، العدد1، جانفي 2013م، ص50، نقلا عن: ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، د.ط ،مكتبة مدبولي، القاهرة_مصر ،1999م، ص50_62.

فقت هذه التجربة من الناحية التاريخية باستمرارية وتواصلية تدعو إلى الإعجاب"[23]، ولسنا نعتبر أ ن ليس هناك تصوف ما عدا التصوف الإسلامي، لكن لك ل أمة ولكل ثقافة روحية تصوفها الخاص الذي يحتكم إلى مرجعيتها الدينية الخاصة.

يصل المفكرون الغربيون إلى هذه النتائج _تصوف واحد لجميع الأديان_ من منطلق اقتناعهم بعدم أصالة التصوف الإسلامي وبأ نه مزيج من مؤثرات أجنبية، فمنهم من أرجعه إلى التأثير الأفلاطوني أو المصدر اليوناني أو الأفلاطونية الحديثة مثل جولدتسيهر الذي يذكر أ نه :

"عند إلقاء نظرة عامة على تاريخ التصوف الإسلامي لا يمكن أن نتجاهل المؤثرات الأخرى التي تحاكي حياة الرهبان السائدين"[24]

ومنهم من يرجع التصوف الإسلامي إلى الأثر الفارس ي من خلال انفتاح المسلمين على بلاد الفرس في الفتوحات الإسلامية، مثل المستشرق برمنجهام الذي استنتج حدوث تطور في التصوف الإسلامي في المناطق الإيرانية، وذلك لارتباطه بحياة الناس العاديين خلال الدراويش المتجولين، وحين بدأت الحركات المغولية داخل خراسان)616_692 هـ/ 1219_1292م(أزيح الإسلام من وضعه كدين للدولة، وظهر المتصوفون وقد حلوا محل العلماء كأوصياء للإسلام عند المغول وكممثلين مهمين للدين"[25].

والقائمة طويلة لا يسع المجال لذكر جميع المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من وجهة نظر المستشرقين ومن سار على خطاهم من الحداثيين العرب.

3. خصوصية التصوف الإسلامي ودوره في الأمن الإنساني:

---

[23]محمد آركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، ط3، دار الساقي، بيروت_ لبنان ،1998م، د.أ ،ص157.

[24]غولدتسيهر أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام _تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية_، ترجمة: محمد يوسف موس ى، د.ط، د.دار نشر، بيروت ،2009م، ص208.

[25]طالب جاسم حسن العنزي_ سلمى حسن علوان، المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من منظور استشراقي، مجلة دراسات استشراقية، العدد 1، 2014م، ص45_46.

من البديهي أ ن التجربة الصوفية الإسلامية تحتكم إلى مرجعيتها الدينية– منطلقا ومآلا – وهي الإسلام _القرآن الكريم والسنة النبوية_، وهذا الإطار الديني هو القالب الذي تصوغ فيه التجربة الصوفية الإسلامية مفاهيمها وممارساتها،

ولئن وجدت عند بعض المتصوفة المسلمين من استعمل مصطلحات يوحي ظاهرها بالاشتراك في البعد الدلالي والمفاهيمي، فإن وضعها في إطارها وسياقها الموضوعي يفضي إلى قراءة سليمة منسجمة مع البعد الابستمولوجي والعقدي للتصوف الإسلامي

ونمثل لهذا "ببعض المصطلحات التي استعملها الحلاج كاللاهوت والناسوت وغيرها"[26]

وقد بدأت موجة القول بتأثر التصوف الإسلامي في نشأته بعوامل أجنبية تنحسر من بعد سنة 1920م وح تى الذين قالوا بذلك ما لبث بعضهم أن عدل عن رأيه[2728] فمن المفكرين الغربيين من أكد أ ن لكل أمة تصوفها الخاص مثل ماسنيون الذي يص رح بأ ن : "كل بيئة دينية يتوافر لتقوى أبنائها الإخلاص والتفكير تصلح لأن يظهر فيها روح التصوف، فليس التصوف إذن من خصائص عنصر أو لغة أو أمة بل هو مظهر روحي لا يحده مثل هذه الحدود المادية، فمن القرآن _يردد المسلم تلاوته ويتأمل في آياته ويقوم بفرائه_ انبثق التصوف الإسلامي ونما وتطور"[29] وهذا الكلام يؤول إلى إسقاط الخصوصية عن التصوف ويجعله تجربة إنسانية لا علاقة لها بالأصول العقدية، وهي مغالطة يظهرها ببساطة قول ماسينيون الذي يناقض قوله الأول: " إ نفي القرآن البذور الحقيقية للتصوف عامة وهذه البذور كافية لتنميته في غير حاجة إلى غذاء أجنبي"[3031].

---

[26]أرنولد توماس، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، د.ط، د.دار نشر، بيروت، 1972م، د.أ، ص315.

[27]م، ص31.

[28]يُنظر: عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، د.ط، د.دار نشر، الكويت،

[29]صهيب الرومي، التصوف الإسلامي، د.ط، د.دار نشر، بيروت، 2007م، ص78.

[30]م، ص103.

[31]لوي ماسنيون، دراسة عن المنحنى الشخص ي لحياة الحلاج الشهيد الصوفي في الإسلام، مجلة الله حي، العدد 3،

أ ما عن نيكلسون الذي قرر سابقا أ ن التصوف هو نقطة تقاطع الإسلام مع الديانات الأخرى فهو ذاته يعود ليقول: " إ ن كثيرا من الخصائص الإسلامية للتصوف عند المسلمين وليدة البيئة المحلية وهذه الخصائص المحلية أصبحت من التقاليد التربوية المعروفة بحيث طُ بقت على وجهة متكاملة في سائر الأمصار الإسلامية"[3233]. وهو هنا طبعا يناقض نفسه أو يتراجع عن رأيه السابق الذي نفى فيه كون التصوف قد ظهر في بيئة إسلامية بحتة.

حتى وإن وجد تشابه بين التجارب الاشراقية والروحية المختلفة ومهما بلغ هذا التشابه " غير أن لكل تجربة صوفية خصوصيتها يحددها الاطار المرجعي الديني الذي تنتمي إليه، وتؤول تجربتها من خلاله ولذلك لا توجد تجربة صوفية مجردة فكل حديث عن هذه التجربة لا يتم إ لا من خلال هذه الديانة أو غيرها"[34].

وهذا ما يثبته كبار الصوفية مثل سراج الدين الطوس ي الذي يقرر أ نه لم تكن الشرائع والأحكام الدينية الإسلامية بعيدة عن الطريق الصوفي بل كانت وسائل وأدوات تطهير وتزكية النفس، فالمقامات الصوفية هي: " مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام به من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل"[31]، ثم أ ن الدارس الفاحص لطريقة التصوف الإسلامي يق ر بكل موضوعية أ نها تنطلق من عقيدة التوحيد الظاهرة في أقوالهم وعباداتهم وأفعالهم،"[35]

و بالكيفية التي يتعبدون بها إلى الله حيث لا تخرج عما أمرهم من صلاة على الهيئة التيذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم"صلوا كما رأيتموني أصلي" وعن الذكر الذي أمربه الله تعالى"فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

---

[32]م، د.أ، ص102_103.

[33]رينولد ألين نيكلسو ن، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلا العفيفي، د.ط، د.دار نشر، القاهرة_ مصر،

[34]شارفي عبد القادر، خصوصية التجربة الصوفية، المرجع السابق، ص50.

سراج الدين الطوس ي، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، ضبط وتصحيح: الهنداوي كامل مصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان ،2001م ،40.،[31]

[35]القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 152.

وفي انفتاحهم على الآخر تحكمهم عقيدة الولاء والبراء فهو يوالون المؤمنين ويعادون الكافرين حيث نجد أسماء العديد من كبار الصوفية على رأس قبادة جيوش لرد عدوان الظلمة والكفرة على حياض المسلمين كما فعل سيدي بومدين الغوث الذي ترأس جيشا لفتح القدس مع صلاح الدين الأيوبي، وكما فعل الشيخ الحداد الذي جهز جيشا من المريدين من بومرداس الى القالة لمقاومة الاستعمار الفرنس ي، وهذا وغيره يدحض الوحدة الصوفية المزعومة التي تجعل الحق والباطل في بوتقة واحدة وتميع قيم الحق والعدل والإنسانية الحقة التي تنصر المظلوم أيا كان وتقف في وجه الظلم كذلك أيا كان.

الخاتمة:

- لاب د من الإشارة إلى أ ن لغة الخطاب الصوفي هي لغة خاصة ليس للجميع أن يفهمها ويدرك مبلغها، وهو ما أدى بالكثير من المستشرقين إلى قراءة الخطاب الصوفي الإسلامي وفق ما يل بي غاياتهم، فنسبوا مثلا الدعوة إلى وحدة الأديان لابن عربي.
- الانفتاح على الآخر هو انفتاح واع يشترك في الحق فينصره وينفرد وينغلق على الباطل فيرده ويعاديه، ميزانه عقيدة التوحيد وأحكام الشريعة الإسلامية.
- دعوة الآخر الى دراسة منصفة موضوعية غير منحازة ولا مقصية.
- التوحيد هو مركز ومدار كل المعارف والعلوم التي تأسست في الإسلام لا يحيد عنها أي علم وعلى رأسه التصوف الإسلامي،
- التصوف ا لإسلامي ممارسة تعبدية تنطلق مما جاء في القرآن الكريم وما صح من السنة النبوية الشريفة.
- كل انفتاح على الآخر يحترم الخصوصية التوحيدية والتعبدية والابستيمولجية للمعارف الإسلامية مرحب به، فالحكمة ضالة المؤمن أ ىن وجدها فهو أحق بها كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1(القرآن الكريم.

2(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو نعيم، د.ط ،دار الفكر، بيروت_ لبنان ،1996م، ج1.

3(القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية،ط1، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د.أ.

4(الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة_مصر،1994م ،د.أ

5(أبو العلا العفيفي، التصوف. الثورة الروحية في الإسلام، د.ط، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت،د.ت ، د.أ

6(عبد الرحمن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: أ. م. كاترمير، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت ،1992م،ج1.

7(رسائل ابن عربي _اصطلاح الصوفية_، محي الدين بن عربي،د.ط، دار الإمام مسلم للنشر ،1990م، د.أ

8(أحمد بن عجيبة الحسني ،معراج التشوف إلى حقائق التصوف، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء ، د.أ.

9(مجموعة مستشرقين، دائرة المعارف، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة _مصر ،2005، ج5.

10(جان شوفليي، التصوف والمتصوفة، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط ،دار إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م.

11(ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار المعارف، القاهرة_مصر، د.ت، ج1.

12(عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر: الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ط1، دار العلوم ،القاهرة_مصر،2005م، د.أ.

13(رينولد ألين نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نور الدين شربيه، ط2، د.دار نشر، القاهرة_مصر، 2002م.

14(روجيه أرنلديز، رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة: وديع مبارك، د.ط، منشورات عويدات، بيروت_باريس، 1988م، د.أ.

15(أثين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، د.ط، وكالة مطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت ،1979م.

16(شارفي عبد القادر، خصوصية التجربة الصوفية والقراءة التأويلية للنص الديني، مجلة: الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد1، العدد1، جانفي 2013م، ص50، نقلا عن: ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة_مصر ،1999م.

17(محمد آركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، ط3، دار الساقي، بيروت_ لبنان ،1998م، د.أ.

18(غولدتسيهر أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام _تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية_، ترجمة: محمد يوسف موس ى، د.ط، د.دار نشر، بيروت ،2009م.

19(طالب جاسم حسن العنزي_ سلمى حسن علوان، المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من منظور استشراقي، مجلة دراسات استشراقية، العدد 1، 2014م.

20(أرنولد توماس، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، د.ط، د.دار نشر، بيروت ،1972م، د.أ.

21(يُنظر: عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، د.ط، د.دار نشر، الكويت ،1975م.

22(صهيب الرومي، التصوف الإسلامي، د.ط، د.دار نشر، بيروت ،2007م.

23(لوي ماسنيون، دراسة عن المنحنى الشخص ي لحياة الحلاج الشهيد الصوفي في الإسلام، مجلة الله حي، العدد 3، 1945م.

24(رينولد ألين نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلا العفيفي، د.ط، د.دار نشر، القاهرة_ مصر ،1947م، د.أ.

25(سراج الدين الطوس ي، اللمع في تا ريخ التصوف الإسلامي، ضبط وتصحيح: الهنداوي كامل مصطفى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان ،2001م.

26(أيوب بن موس ى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش _محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت_لبنان، ج1.

27(لطف الله خوجة، وحدة الأديان في تأصيلات التصوف وتقريرات المتصوفة، ط1، مكتبة الملك فهد ، الرياض _السعودية ،2011م، د.أ.